بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ١٠٥﴾

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْحَقِّ حَدِيثًا وَافِيًا؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ بَارِزٍ فِي اسْتِقَامَةِ الْحَيَاةِ، وَضَبْطِ مَوَازِينِهَا، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْإِجْلَالِ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ٢٥﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ... ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ أَتَى الْحَقُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُعَبَّرًا عَنِ الرِّسَالَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾، وَجَاءَ التَّعْبِيرُ هُنَا بِـ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ مُفْرَدًا؛ لِأَنَّ مَصْدَرَ الْحَقِّ أَيِ الرِّسَالَاتِ وَاحِدٌ.

وَقَدْ جَاءَ نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ ﷺ بِالْحَقِّ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

كَمَا عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِالْحَقِّ عَنِ الْغَيْبِيَّاتِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا الرُّسُلُ عليهم السلام، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنِ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ حَقٌّ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾، كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْحُقُوقِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَقَّ الْمَالِ، صَدَقَةً كَانَ أَمْ زَكَاةً. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، وَالنَّسَائِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ، إِنْ أَعْطَى مِنْهُ الْيَتِيمَ، وَالْمِسْكِينَ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّ الَّذِي يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنَ الْحُقُوقِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي أَوْلَاهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِنَايَةً خَاصَّةً: الْمَوَارِيثُ. فَلَمْ يَتْرُكِ اللهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ تَقْسِيمَهَا، بَلْ سَمَّاهَا حُدُودًا، وَوَعَدَ مَنْ يُقِيمُهَا بِالْجَنَّةِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، كَمَا تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ مَنْ يَعْتَدِي عَلَيْهَا بِالنَّارِ، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ، قَالَ اللهُ ﷻ بَعْدَمَا ذَكَرَ تَقْسِيمَ الْمِيرَاثِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾.

فَمَا أَحْوَجَنَا عِبَادَ اللهِ إِلَى الْوَعْيِ بِأَهَمِّيَّةِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَإِحْقَاقِهِ، وَالتَّوَاصِي بِهِ، وَالْوَفَاءِ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَحَقِّ الْأَبْنَاءِ، وَحَقِّ الْجِوَارِ، وَسَائِرِ الْحُقُوقِ، اسْتِعْدَادًا لِيَوْمِ الْحَقِّ، يَوْمِ لِقَاءِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا شَأْنُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَبْنَائِنَا الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ تَتَغَيَّرُ أَحْوَالُهُمْ، وَتَتَبَدَّلُ أَخْلَاقُهُمْ، وَلِسَانُ حَالِ أَحَدِهِمْ، بَلْ مَقَالِهِ يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَالَةٍ لَا يَرْضَاهَا ذَوُو الْهِمَمِ الْعَلِيَّةِ، رَأَيْتُهُمْ فِي جَهْلٍ وَذُلٍّ وَخُمُولٍ، وَأُمُورُهُمْ مُدَبَّرَةٌ، وَفِي الْجَانِبِ الْآخَرِ هَؤُلَاءِ الْأَجَانِبُ قَدْ تَرَقَّوْا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَفَنَّنُوا فِي الْفُنُونِ الرَّاقِيَةِ، وَالْمُخْتَرَعَاتِ الْعَجِيبَةِ الْمُدْهِشَةِ، وَالصِّنَاعَاتِ الْمُتَفَوِّقَةِ، رَأَيْتُهُمْ قَدْ دَانَتْ لَهُمُ الْأُمَمُ، وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ، وَصَارُوا يَتَحَكَّمُونَ فِي الْأُمَمِ الضَّعِيفَةِ بِمَا شَاءُوا، وَيَعُدُّونَهُمْ كَالْعَبِيدِ وَالْأُجَرَاءِ، فَرَأَيْتُ فِيهِمُ الْعِزَّ الَّذِي بَهَرَنِي، وَالتَّفَنُّنَ الَّذِي أَدْهَشَنِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هُمُ الْقَوْمُ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى الْبَاطِلِ، لَمَا كَانُوا عَلَى هَذَا الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ. فَرَأَيْتُ أَنَّ سُلُوكِي سَبِيلَهُمْ وَاقْتِدَائِي بِهِمْ خَيْرٌ لِي وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً، فَهَذَا الَّذِي صَيَّرَنِي إِلَى مَا رَأَيْتَ.

وَلَا يَدْرِي الْمِسْكِينُ أَنَّ تَأَخُّرَ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ نَاشِئًا عَنْ تَمَسُّكِهِمْ بِدِينِهِمْ، فَإِنَّهُ قَدْ عَلِمَ كُلُّ مَنْ لَهُ أَدْنَى نَظَرٍ وَبَصِيرَةٍ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَفِي أُمُورِ الدُّنْيَا، وَيَحُثُّ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ مِنْ تَعَلُّمِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ النَّافِعَةِ، وَيَدْعُو إِلَى تَقْوِيَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ لِمُقَاوَمَةِ الْأَعْدَاءِ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَضْرَارِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ أَحَدٌ مَنْفَعَةً دُنْيَوِيَّةً فَضْلًا عَنِ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ إِلَّا مِنْ هَذَا الدِّينِ، وَهَذِهِ تَعَالِيمُهُ وَإِرْشَادَاتُهُ قَائِمَةً لَدَيْنَا تُنَادِي أَهْلَهَا : هَلُمَّ إِلَى الِاشْتِغَالِ بِجَمِيعِ

الْأَسْبَابِ النَّافِعَةِ الَّتِي تُعَلِّيكُمْ وَتُرَقِّيكُمْ فِي دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ. أَفَبِتَفْرِيطِ الْمُسْلِمِينَ تَحْتَجُّ عَلَى الدِّينِ؟! إِنَّ هَذَا لَهُوَ الظُّلْمُ الْمُبِينُ!

أَلَيْسَ مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ وَمِنَ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبِ، النَّظَرُ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ، الَّتِي تَدَهْوَرَتْ فِيهَا عُلُومُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ وَأَخْلَاقُهُمْ، وَتَرْكُ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ فِي زَهْرَةِ الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ؛ حَيْثُ كَانُوا قَائِمِينَ بِالدِّينِ، مُسْتَقِيمِينَ عَلَيْهِ، سَالِكِينَ كُلَّ طَرِيقٍ يَدْعُو إِلَيْهِ؛ فَارْتَقَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ حَتَّى بَلَغَتْ مَبْلَغًا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَدَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا، وَخَضَعَتْ لَهُمْ أَقْوَى الْأُمَمِ؛ وَذَلِكَ بِالدِّينِ الْحَقِّ، وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَبِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟!

وَبَعْضُ الشَّبَابِ إِذَا مَا قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ، وَجَدْتَهُ مُقِرًّا بِذَلِكَ، وَقَالَ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ، وَلَكِنْ لِي عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَصْحَابٌ مُثَقَّفُونَ، وَلِي عَلَى هَذَا الرَّأْيِ شَبِيبَةٌ مُهَذَّبُونَ، قَدْ أَخَذْنَا نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ اللَّذَّاتِ، وَاسْتَبَحْنَا مَا تَدْعُو إِلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ أَصْنَافِ الشَّهَوَاتِ، فَأَنَّى لِي بِمُقَاطَعَةِ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْغِرَرِ، وَكَيْفَ لِي بِمُبَايَنَتِهِمْ، وَقَدِ اتَّصَلْتُ بِهِمْ غَايَةَ الِاتِّصَالِ؟! فَالْآنَ يَتَنَازَعُنِي دَاعِيَانِ: دَاعِي الْحَقِّ - بَعْدَمَا بَانَ سَبِيلُهُ، وَاتَّضَحَ دَلِيلُهُ - وَدَاعِي النَّفْسِ وَالِاتِّصَالِ بِهَؤُلَاءِ الْأَصْحَابِ الْمُنَافِي لِلْحَقِّ غَايَةَ الْمُنَافَاةِ، فَكَيْفَ الطَّرِيقُ الَّذِي يُرِيحُنِي وَيَشْفِينِي، وَمَا الَّذِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ يُسَلِّينِي؟

وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ، وَأَكْبَرِ فَضَائِلِ الرَّجُلِ اللَّبِيبِ أَنْ يَتَّبِعَ الْحَقَّ الَّذِي تَبَيَّنَ لَهُ، وَيَدَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَخُصُوصًا عِنْدَ الْمُنَازَعَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟ وَأَنَّ الْمُوَفَّقَ إِذَا وَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ، طَلَبَ الْوَسِيلَةَ إِلَى تَحْصِيلِ الْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَةِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُ النَّاصِحِينَ الَّذِينَ يُرْشِدُونَهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَسْعَوْنَ فِي سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ؟

ثُمَّ مِنْ تَمَامِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُوَفَّقَ لِطَاعَتِهِمْ.